

بوق الحكمة من بيتها ومن يوت
الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

المكتبة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيلعبون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الجمعة صرة جمادى الأولى سنة ١٣١٩ - ١٦ اغسطس (أب) سنة ١٩٠١)

علماء الدين

و حديث صاحبي السباحة والفضيلة شيخ الاسلام ومفتي الديار المصرية

« ثم أوردنا الكتاب الذي اصطَفينا من عبادنا فمنهم ظالمٌ لنفسه ومنهم
مقتصدٌ ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير »

الدين كما قالوا : وضع الهي سائق لذوى العقول باختيارهم الى ما فيه
صلاحهم ونجاحهم في الحال وفلاحهم في المآل . فثمرته سمادة الدنيا والآخرة
ولا تحصل هذه الثمرة الا بالعمل به والاهتداء بهديه ولا يكون العمل
الا عن علم ولا الهدى الا بهدى « فاما يأتينكم منى هدى فمن أتبع هدايى
فلا يضل ولا يثقى . ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشةً ضنكاً » اي في
الدنيا « ونحشره يوم القيامة اعمى » عن طريق النجاة . والدنيا مزرعة
الآخرة ففقد الثمرة الأولى عنوان على فقد الثمرة الاخرى لانهما مملولان

لعلة واحدة او مسيبان عن سبب واحد وهو الدين

الانبياء عليهم الصلاة والسلام تلقوا الدين من العليم الحكيم وتصدوا
لتعليمه للناس بما عهد الله اليهم فاقاموا البرهان وحاجوا أهل الزيغ والظنيان
حتى اودوا في الله فصبروا وسعد الناس بهديهم وارشادهم في دنياهم
وسيعدون به في اخرهم وعلماء الدين ورثة الانبياء ونوابهم الذين يقومون
بوظيفتهم لان الله اخذ الميثاق على الذين اتوا الكتاب من بعدهم كما اخذه
عليهم « لَيَّبِيْنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُوْنَهُ » فمنهم من وفى بالميثاق ومنهم الذين
نبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً ومنهم ما هو بين ذلك
قد كان علماء سابقنا الصالح خيرا من سلف سائر الانبياء حيث كنا
بهم خیرامة اخرجت للناس لانهم يأصرون بالمعروف وينهون عن
عن المنكر ويرشدون الى مصالح الدنيا والآخرة . ثم حصل الفتور في
العلم الذي هو روح الدين وهو ما يودع القلوب خشية الله تعالى ويزع
النفوس عن الشر ويوجهها الى الخير الذي فيه سعادة الامة في افرادها
ومجموعها حتى قام بعض الائمة كالامام الغزالي يرمي العلماء بالتقصير في علوم
الدين ويعذلهم على التوسع في علم الفقه الذي سماه من علوم الدنيا ولقب
العلماء المنصرفين الى ذلك بعلماء السوء وذكر اسمهم يزعمون بذلك احياء
فرض الكفاية ولو صدقوا لانصرف بعضهم لاحياء سائر العلوم التي تنفع
الامة في الدنيا ولا بد منها وهي من فروع الكفايات كعلم الطب . وقد
اطال في كتابه احياء علوم الدين النبي عليهم والتدبير بهم حتى حملهم ذلك
على الطعن فيه بأنه ادخل الفلسفة في الدين وأحرقوا كتابه الاحياء في
اسواق القاهرة وغيرها ثم كتبوه بماء الذهب وقالوا إنه احسن كتاب
الف في الاسلام وجرى على خطه الغزالي في الانتقاد آخرون

هذا ما كان في القرون المتوسطة اذ العلماء علماء والمسلمون في عزهم
وسؤددهم يفوقون جميع الناس في العلوم والاعمال والقوة والثروة وعلمائنا
اليوم يترفون بان العلم والدين كانا في عصر الفزالي خيراً مما صارا اليه في
القرن الذي بعده وان التبدل فيها سار بالتدرج الى عصرنا هذا فكل قرن
دون ما قبله . ولكنهم اذا رُموا بالتمقصير في الارشاد الى الدين والقيام
بمهمته كما رمى الامام الفزالي علماء عصره يكبر عليهم ذلك وان كانوا
يفضلون اولئك العلماء على انفسهم ويرون غاية العلم فهم كلامهم

لا يطلق لقب علماء الدين على الذين عرفوا من دينهم ما يجب عليهم فقط
وانما يطلق على الذين عرفوا القروض العينية والكفاية واحيوا سنة الرسل
بالتعليم والارشاد والتبشير والانداز لجميع الناس ولا يكفي في هذا ان
ينقطعوا عن الناس في مكان واحد من البلد او القطر يتدارسون فيه
اصطلاحات بعض الفنون وقواعدها مع من يحضرهم ويدعون سائر
الامة وشؤونها

يعرف الشيء بنتائجه وآثاره كما يعرف بمقدماته ومبادئه وكما يعرف
بذاته وكنهه وقد تقدم ان نتيجة الدين وثمرته سعادة الدين والآخرة
فلو ان علماء قائمون بوظائفهم حق القيام بحسب ما تعطيهم ورائة النبوة
لما سلبت سعادة المسلمين من ايديهم - ولما صاروا اعداء متخاذلين بعد ان
كانوا اخواناً في الدين - ولما تجرأ المتدعة والكفار على الطعن بدينهم ولم
يجدوا منهم مدافعاً ولا معارضاً ولا يحسن ان نذكر اخبار بعض المرتدين
مع بعض علماء الازهر فما كل ما يعلم يقال - ولما اصبح الجهل بالدين
عاماً في جميع طبقات الامة من الحكام والامراء الى الصعاليك والفقراء

أصبحت شكوى المسلمين من سوء حالهم عامة لان سلطان
الاجنبي أصبح فيهم عامماً ولا خلاف بين عقلاء الباحثين في ان سبب ذلك
هو الانحراف عن صراط الدين ويدل على هذا قوله تعالى « ولن يجعل الله
لكافرين على المؤمنين سبيلاً » وقوله عز وجل « وكان حقاً علينا نصر
المؤمنين » وغير ذلك من الآيات فهل تكابر الحس ونقول اننا منصورون
وانه ليس للكافرين علينا سبيلٌ ما بوجه من الوجوه كما يفيد وقوع
النكرة في سياق النفي ؟ أم نقول ان الله تعالى يخلف وعده ولا يصدق
كتابه ؟ (معاذ الله وحاش لله) ام نقول اننا لسنا بمؤمنين ؟ ام اذا نقول ؟
أهون هذه الأقوال صعب شديد وليس لنا مندوحة عن القول
الاخير مع التأويل بأن نقول : اننا لسنا بمؤمنين الايمان الكامل الذي
يستولى على الأرواح والنفوس ويشقف الاذهان والمقول ويحمل على
الاعمال النافعة التي تثمر السعادة والسيادة . ولكن لماذا تركنا الايمان
على هذا الوجه النافع المرضي لله تعالى

هل تلقى احد الايمان على هذا الوجه ثم تركه ؟ كلا انما فقد منا هذا
الايمان بفقد العلماء الذين يثبونه في النفوس ويودعونهم في القلوب فقد
ورد في الحديث ان الله لا ينزع العلم من القلوب انتزاعاً وانما يذهب العلم
بموت العلماء

يعتقد المسلمون كافة ان هذا البلاء الذي هم فيه لا يتكشف عنهم الا
بالرجوع الى دينهم على الوجه الذي يهدي الى سعادة الدارين بالقيام
بمصالح الروح والجسد والباحثون منهم في حيرة لا يدرون كيف يكون
هذا الرجوع وبماذا يكون ولذلك توجهت انظارهم الى العلماء لان هذا

الذي يطلبونه لا يكون الا بالهدى النبوي الذي هو وظيفتهم ولكنهم اهلواها . ومطالبتهم بها تعظيم لشأنهم ورفع لمقامهم وثقة كبرى بفضلتهم . تحدث بهذا المحاورون والسامرون ، وكتب في موضوعه الكاتبون ، ولكن اكثر العلماء عنه غافلون ، لانهم لا يبحثون في شؤون المسلمين الاجتماعية ولا ينظرون في صالحهم الملية ، ولما ملأت الشكوى كل مكان ، وكادت تصخ منهم الآذان ، اعترف بحقيتها منهم العقلاء النصفون ، وانكرها المكابرون المغرورون ، فطلق علماء البلاد الهندية ، يؤلفون الجمعيات العلمية الدينية ، للبحث في هذه الشكوى ، وتلافي هذه البلوى ، ولم يتنبه في سائر البلاد ، الا بعض افراد ، لم يظهر لهم عمل ، يتعلق به الامل ، أما هذه البلاد المصرية فقد اشتهر فيها مفتيها الاستاذ الشيخ محمد عبده بالغيرة على الاسلام والسعي في الاصلاح العلمي الديني في الازهر الشريف وغيره والديوي الملي في الحكومة والجمعية الخيرية الاسلامية التي هو رئيسها واكثر العلماء لا يزالون وادعين ساكنين ، غاربن آمنين ، محافظين على طريقتهم العتيقة في مزاوله بعض الفنون العربية والشرعية وانما قلت بعضها لان بعض المقاصد مفقودة من الازهر كالانشاء والخطابة وعلم الاخلاق الدينية والتاريخ الاسلامي بفروعه الكثيرة . ولهذا الجامع الشريف الفضل في حفظ ما حفظه من تلك الفنون بالجملة وان لم يكن بالطريقة العملية المقصودة اذ لولاه لتلاشى العلم الاسلامي من هذه البلاد بالمرّة ولكنه لم يحفظها على كمالها كما كانت في القرون المتوسطة وانما حفظ رسومها وانقاضها وله الفضل على كل حال ورجوله الرجوع الى احسن مما كان نعلم مما تقدم ان عقلاء المسلمين يرون ان سعادتهم بعلمهم اذ اصلحوا

لأنهم كالقلب الذي يصلح بصلاحه الجسد كله كما ورد في الحديث فلا يسرون بشيء كسرورهم من توجه كبار العلماء الى شؤون المسلمين العامة ولهذا وقع الحديث الذي دار بين صاحبي السباحة والفضيلة الشيخ جمال الدين أفندي شيخ الإسلام والشيخ محمد عبده مفتي أفندي الديار المصرية في دار السعادة أحسن موقع عند جميع العقلاء والفضلاء لأن اتفاق هذين الشيخين وهما أكبر علماء المسلمين على ان صلاح حال المسلمين انما يكون بسمي العلماء الموافق لحال الزمان وتطبيق العلم على العمل ينهض من همهم ويعرفهم قيمة وظيفتهم العالية ويحثهم على القيام بها

(حديث شيخ الإسلام ومفتي الديار المصرية في العلم والعلماء)

قال (المفتي بمناسبة كلام مع الشيخ) ان كان للمسلمين شكوى مما يرونه مأساً بشرية فاجدر بهم ان يشتكوا من انفسهم لا ممن يعتدي عليهم (الشيخ) لا ريب في ذلك فان حياة كل امة تقوم باستمدادها لكل زمان بما يناسبه ومن غالب الزمان غلبه الزمان . ولكننا نؤمل ان تتغير الحال ويتنبه المسلمون لما فاتهم فيحصلوه وذلك لا يكون الا بهمة علمائهم .
وهمة شريعتهم

(المفتي) نعم ذلك لا يكون الا بهمة علمائهم ولكن العلماء في انصراف تام عن شؤون العامة وقد تركوا اهم تلك الشؤون الى الحكام ووكلوا بعضها الى العامة انفسهم وجعلوا نصيح العامة والخاصة أو الاشتغال بما يهين لذلك من العمل مما لا يعني ولم يتبق لاحد منهم علاقات مع العامة اللهم الا أولئك القصاص الذين يسمونهم وعاظاً او مدرسي مساجد وما هم من علم الدين وشؤون العامة على شيء وهم يفسدون اكثر مما يصلحون

(الشيخ) لا شك ان اغلب المشتغلين بعلوم الدين تنقصهم الخبرة باحوال الناس ويفوتهم العلم بما عليه اهل العصر ولو خبروا الزمان واهله لا يمكنهم ان يحموا شرعهم ويملوا شأن اهل ماتهم مع ان العالم لا يكون عالماً حتى يكون مع علمه عارفاً والعارف هو الذي يمكنه ان يوفق بين الشرع وبين ما ينفع الناس في كل زمان بحسبه ومن كان بارعاً في المعلوم الدينية ولكن لا يعرف حال اهل عصره ولا يراقب احكام زمانه فلا يسمى عالماً ولكنه يسمى مفتتاً أعني انه يعرف فن النحو او فن الفقه او ما اشبه ذلك ولا يسمى عالماً على الحقيقة حتى يظهر أثر علمه في قومه ولا يظهر ذلك الاثر الا بعد علمه باحوالهم وادراكه لحاجاتهم

(المتقى) ما تقوله سماحتكم هو المعروف عند الاولين من علمائنا . وقد جاء في كثير من كتب السادة المالكية تعريف العالم بأنه (العاكف على شأنه البصير باهل زمانه) . وهو تعريف للعالم بالغاية من علمه والمكوف على الشأن ان لا يضيع العالم زمنه الا فيما يفيد ويفيد العامة لان هذا هو شأن العالم الذي ينبغي ان يكف عليه . ولذلك اتبعه بالوصف الآخر وهو البصر باهل الزمان لان البصر باهل الزمان انما يدخل في الغاية من العلم لانه وسيلة للتمكن من العمل به في اهل ذلك الزمان . وكان صاحب هذا التعريف يقول من فرط في شيء من زمنه ولم يستعمله فيما من شأنه ان يستعمله فيه او اساء استعماله بسبب جهله باحوال هذا الزمان فهو يثر المقال ثراً لا يبالي كيف يقع ولا يعرف هل يصفع عليه او يخضع له ويخشع . من كان كذلك فهو خارج عن مفهوم العالم لا ينطبق عليه تعريفه . وغاية ما يمكن ان يصل اليه ان عرف شيئاً من العلم ان يسمى حافظاً

(الشيخ) نعم ان مما يؤسف عليه الاسف العظيم ان من كان من علماء المسلمين على شيء من العلم فاعلمنا بعد في الحقيقة متفئناً ولا يصح ان يطلق عليه اسم العالم . وبذلك بقيت الشريعة مدفونة في الكتب وحرمت ارواح اهليها من التمتع بأدابها - ثم تبسم قائلاً : ولعل الذي مال بحملة الشريعة الى البعد عن شؤون العامة هو أنهم ارادوا ان يخدموا انفسهم خاصة دون الناس عامة

(المفتي) وهل تعد سماحتكم ذلك خدمة لانفسهم مع ما تراهم فيه من الضمة والخنول وحرمان اعاليهم من الحقوق التي يتمتع بها اسافل غيرهم وفرار الدنيا من وجوههم وهم اتعب الناس في طلبها وبفضها لهم وهم احرص الناس على حبها . واذا قنع احدكم بشيء منها فهي وقفة العاجز لا قناعة العزيز . أما كانوا اعز وأكرم ومقامهم اسمى واعلى لو كانوا علماء على النحو الذي عرفه اسلافنا

(الشيخ) صدقت فان من اراد ان يخدم نفسه وجب عليه ان يخدم العامة لاندرج المصلحة الخاصة في المصلحة العامة فاذا ضاعت المصلحة العامة ضاعت الخاصة ايضاً واذا حفظت الاولى حفظت الثانية

(المفتي) نعم يا مولاي هذه هي القاعدة الحقيقية ولكن مدرسي كتب الفقه لا يفتنون بتقريرها لطلبهم . فهؤلاء الذين سمتهم سماحتكم متفئنين لم يروا هذه القضية فيما درسوا فلعل ذلك عندهم فيما نساوا اه بحروفه عن المؤيد

الفائدة في هذا الحديث هي الارشاد الى العمل بالمعلم ونفع الناس به فمن كان يصدق عليه من العلماء يسر به ومن كان حجة عليه يستاء في نفسه

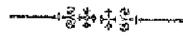
ولكنه لا يظهر الاستياء كشأنه لا يكون مسجلاً على نفسه ذلك اللهم الا ان يُنلب على امره باعتقاد ان الكلام ظاهر الانطباق عليه عند الناس لعلمهم بانه لم يحصل من العلم الا حفظ بعض الاصطلاحات التي لا اثر لها في عمله ولا يمكن ان ينفع بها الناس او لحسدٍ شديد لمن ظهر الحق على لسانه فهو يكابر الحق ويجادل فيه بمد ما تبين وعلم انه الحق وان ما بعده هو الضلال نشر الحديث في المؤيد فذكر المقطم في العدد الذي صدر منه في اليوم التالي لنشره ان العلماء في مصر عموماً وعلماء الازهر خصوصاً قد استأوا منه ووقع عليهم كالصاعقة فنشر المؤيد في اليوم الثالث مقالة لبعض العلماء يقيم الحجة فيها على المقطم بانه ليس من المقول ان يعلم باستياء العلماء كلهم في مصر في صبيحة يوم واحد فلم يجد المقطم جواباً الا انه استنجد ببعض العلماء المتفتنين الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فكتب له نبذة بعد يومين يزعم انه بين فيها سبب استياء العلماء من حديث الشيخين كأنه حقيقة واقعة . أما السبب الذي كتبه فهو مما يضحك الناس على حماقته وقد خدم المقطم الاسلام باظهار سخافته كأنه يقول هذه افكار الذين يمارضون كلام الأئمة الراسخين ولا ندرى هل قصد المقطم هذا ام لا ؟

زعم ذلك المتفتن ان السبب في استياء العلماء المزعوم انه يوجد فئة ذات عُدّة عظيمة يريدون ابطال مذهب اهل السنة ورأوا ان يسقطوا العلماء من نظر العامة ليتكفوا من ذلك لان العلماء هم حراس السنة فهم دائماً يذمون العلماء وجاء كلام الشيخين في ذم العلماء مؤيداً لكلامهم !!!
لعمرى لا يقول هذا القول من بلغ ان يكون متفتناً او حافظاً وانما

هو كلام غيبي لم يفهم معنى الكلام ، وان كان لم يذب عن افهام الدوام ،
 الشيخان يثبت العلماء على العمل بعلمهم وان لا يقتصروا على حفظ
 الاصطلاحات الفنية وهل يمكن ان يجرسوا السنة الا بهذا . هؤلاء
 البابية قد ألفوا كتاباً يريدون به ابطال مذهب السنة بل والاسلام كله
 وقد تشروه حتى في الجامع الازهر فهل قام من العلماء الذين سماهم انصار
 السنة من حامى عن السنة الا الاستاذ مفتي الديار المصرية الذي اتفق
 مع الاستاذ شيخ الجامع على تاديب ناشره وغير هذا الفقير الذي رد على
 كتابهم في المنار . وهؤلاء دعاة المسيحية ينشرون الكتب والجرائد في الرد
 على الاسلام وقد اشتغلت بشبههم الأذهان فهل تصدى هو او غيره من
 اهل الازهر للرد عليهم ؟ وهذه البدع والمنكرات فاشية فهل انكرها
 منهم أحد

يتخذ صاحب المقالة المقطعية اسم العلماء ترساً يدافع به الحق الذي
 يكفه بالعمل ويعد هذا التكليف طعناً بالعلماء جميعاً كأنه يحكم عليهم بانه لا
 يوجد فيهم عامل بعلمه خادماً لدينه ويسمى الذي يعلق آمال المسلمين بهم
 طاعناً فيهم ويزعم ان الأولى تعليق الآمال بالحكام والامراء وهو يعلم
 سلطة الاجانب عليهم فنعوذ بالله من الجهل ونعوذ بالله من الفس
 جعل الله علماء الدين الذين أورثهم الكتاب ليكونوا نواباً عن الرسل
 في الهدى والارشاد على ثلاثة اقسام ظالم لنفسه لا يعمل به ومقتصد
 يشتغل في اصلاح نفسه والعمل بما وجب عليه وسابق باخيرات يعمل ويعلم
 الناس ويرشدهم الى الاهتداء به (هذا التفسير هو الذي اختاره العلامة
 البيضاوي وغيره) وهذا القسم الثالث هو الذي تحيا به الملة وتحفظ السنة

وقد ضعف الاسلام والمسلمون بضعفه وكادوا يتلاشون بتلاشيه وكلام الشيخ والمفتي ينفخ روح الفيرة في القسم الاول والثاني ليرتقوا الى القسم الثالث وكلام صاحب المقالة المقطعية يسجل عليهم بانهم من القسم الاول أو الثاني ويسمي هذا نصراً للسنة وما هو الا نصر للمقطم وتصديق له بأن العلماء قد استاؤا من كلام الشيخين ولعله هو الذي غشه أولاً وصدقه ثانياً عهدنا بهذا المفرور انه محرم نشر الآيات القرآنية في الجرائد فلماذا ملأ مقاله بالآيات التي حرفها عن مواضعها ووضعها حيث شاء الهوى « يملونه عاماً ويحرمونه عاماً » وعهدنا به يحرم الكتابة في الجرائد الاسلامية ولو لخدمة الملة الحنيفة والدولة العلية فكيف استحل أن يكتب في جريدة يعتقد هو واكثر قومه ان لم نقل كلهم بانها ضد الدولة وغير خادمة للملة؟ ألم يجد جريدة يدافع فيها عن السنة والاسلام وعلمائه الاعلام الا هذه الجريدة التي لم تنشأ لهذا القصد ولولا ارادة تأييد كلامها لما نشرت مقاله . لا نريد بهذا طعنًا بالمقطم وانما نريد تنفيذ هذا المفرور بما هو مسلم عنده وسنين وظائف العلماء في الجزء الآتي والى الله تصير الامور .



« شبهات المسيحيين على الاسلام وحجج الاسلام على المسيحيين »

(نبذة ثالثة تابعة لما في الجزء الخامس والجزء العاشر)

بيننا في الجزئين الخامس والعاشر المراد بالتوراة والانجيل عند المسلمين وهما اللذان يشهد لهما القرآن الكريم وبيننا أنه لا تنهض للمسيحيين حجة على اثبات دينهم وكتايبهم ونبوته سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما السلام الا من القرآن ولا يكون القرآن حجة الا اذا كان من عند الله تعالى فليهم ان يؤمنوا